أسابيع المدى .. تأصيل للهوية العراقية

سعد محمد رحيم

خلال ربيعي السنتين المنصرمتين (٢٠٠٦ . ٢٠٠٧) خصص في أربيل أسبوعان للثقافة العراقية أقامتهما مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون، وحضرهما عدد كبير من الرموز الأدبية والفكرية والفنية والإعلامية والأكاديمية العراقية إلى جانب أدباء ومفكرين وفنانين وإعلاميين وأكاديميين عرب. وقد تعرضت الفعالية والمشاركون فيها لهجوم إعلامي غريب من قبل بعض ممن يعدون أنفسهم متبنين للفكر القومي ويدعون الغيرة على المصلحة القومية والمستقبل العربي. وفي هذا المقام سأسعى للابتعاد عن اللغة المتشنجة والهوجاء التي استخدمها هؤلاء فيما كالوه من اتهامات وما تصوروه مؤاخذات تصل حد اتهام أولئك المشاركين بالخيانة. والرد عليهم بهدوء، في محاولة لتوضيح الصورة كما هي.

إن القراءة الصحيحة لقيام أسبوع المدى الثقافي في أربيل.. القراءة التي تنطلق من النية السليمة وليست العرجاء التي تبيت أمراً.. القراءة الموضوعية التي لا تنطوي على حكم مسبق ترينا جملة حقائق، أولها؛ أن وجود هذا العدد الكبير من المثقفين والمبدعين العراقيين في أربيل خلال مدة إقامة الفعالية تأكيد أن المكان (أربيل) عراقي، جزء من الوطن (العراق). فيما الهدف الأول من إقامة الأسبوع كان البحث في تأصيل الهوية (العراقية). فهناك نوقشت قضايا ومشكلات وإشكاليات الواقع العراقي والعربي وباللغة العربية الفصيحة. ومع كل هذا الكم الكبير من المثقفين والمفكرين العراقيين والعرب لابد أن تختلف الأفكار والاجتهادات ووجهات النظر طالما أنها تُطرح في مناخ حر. فمعروف أنه لم يكن هناك إملاء أو قسر أو إلغاء أو إقصاء لأي رأي أو فكرة أو أطروحة على الرغم من أن تلك الآراء والأفكار والطروحات كانت تتصادم أحياناً وتتباين حد التناقض. أليس هذا هو الشيء الصحيح؛ أن نتحاور ونختلف أو نتفق، ونخرج بقواسم مشتركة ونفترق من غير ضغينة. أم إننا تعودنا في مؤتمراتنا على سماع نغمة واحدة وفكرة بعينها بتعبيرات متشابهة مملة هي نغمة وفكرة السلطة الراعية التي تصدر عن إيديولوجية لا يأتيها الباطل من بين يديها أو من خلفها؟!!. أم تراهم يحسبون ديمقراطية الثقافة مؤامرة إمبريالية صهيونية؟!.

إن الأسبوع هيأ الفرصة الكبيرة لاستعادة قدر كبير من أهم ما أنتجته الثقافة العراقية خلال العقود الأخيرة.. كانت أجواء سبعينيات بغداد بخاصة حاضرة في أربيل بأغانيها وموسيقاها ورقصها ومسرحها وفنونها التشكيلية وأدبها، وثقافتها عموماً. وبذا كان أسبوع المدى الثقافي محاولة لإعادة الاعتبار لعراقيتنا وإحياء الفولكلور العراقي والموسيقى العراقية والأدب العراقي والسينما العراقية والفنون التشكيلية العراقية ومناقشة واقع حال كل حقل من حقولها من أجل فتح آفاق جديدة أمامها.

لا أدري لم يُحارب العراقي الذي يحاول تأكيد أصالته العراقية؟ لم يوضع النزوع الوطني العراقي موضع اتهام؟ ولم يكون الاحتفاء بالإبداع الوطني العراقي وإحياء جذوة الروح الوطنية العراقية خيانة في منظور بعضهم؟.

استخدمت عبارة خيانة آلية من آليات القمع والضبط السياسي في البلدان العربية في المرحلة ما بعد الكولونيالية (مرحلة الدولة الوطنية)، ذلك أن الحكومات الاستبدادية التي تقنعت بالفكر القومي لم تفعل سوى تدمير الأرضية الوطنية في البلدان التي حكمتها. فبحكم سطوة تلك السلطات على أجهزة الثقافة والإعلام، وديماغوجية بعض الحركات السياسية الراديكالية وغير الراديكالية تأسس خطاب سياسي وإعلامي فاسد بات بموجبه من يرفع شعار الوطنية والقومية ويصرخ به هو الوطني والقومي بامتياز حتى وإن كان سلوكه يفضي إلى تفتيت الوطن وتأخيره ودفع الأمة إلى المهالك. فيما كان الآخرون الذين يعملون بصمت، ينتجون ويبدعون ويمتلكون النظرة العلمية النقدية ويضعون المصلحة الوطنية فوق الاعتبارات والشعارات الفارغة خونة!! وتلك هي واحدة من مفارقات زمن الدوغما والديماغوجية الإيديولوجية. حيث برزت شريحة، هي من ترسبات عهود الاستبداد والطوباوية القومية، لا تستمرئ إلا الهزيمة، وترى لإصابتها باستكماتزم الوعي المهزوم بطلاً، والقاتل مناضلاً، والديكتاتور مثالاً أعلى. ونتيجة عماها الإيديولوجي لا تبصر نقاط الضوء هنا وهناك على أرض الواقع، وتخالها أشد عتمة من الظلام الذي أشاعته.

يتوقع المرء أن يكون دعاة الفكر القومي أول المحتفين بما يؤسس لوضع ثقافي صحي في أي بلد عربي، لكن العكس للأسف هو ما يحصل، فبدلاً من ذلك نجد كثراً من هؤلاء يرتابون بأي نجاح ساحق في هذا المجال الحيوي ويشككون بأسباب النجاح كما لو أنهم ينتظرون الفشل والإخفاق.. أهو عصاب من نمط ما؟ أتراها حالة من عدم الثقة بالنفس وإمكانياتها ؟ أم علينا أن نفسر الأمر في ضوء ما يطلق عليه في معاجم علم النفس بالإسقاط. ومثاله أن يُسقط الفاشل والمهزوم صورة فشله وهزيمته على الآخرين، محاولاً تبرئة الذات أو تعميم صورته هو على المحيطين به، كما لو أنه يقول؛ لست أنا الفاشل والمهزوم الوحيد. أو لولا الآخرون لما فشلت أو هُزمت.

إننا، ها هنا، إزاء شخصية المثقف المازوكي التي تستلذ بجلد الذات والبكاء على أطلال البلاد من غير أن تمد يدها لتفعل شيئاً لتنقذ ما يمكن إنقاذه، وتحاول إخراج البلاد من محنها بدل تعميق جراحها.. إنها شخصية عاجزة كسولة ثرثارة ومريضة. وهي، قطعاً، بحاجة إلى أن توضع على سرير المحلل النفسي لتكتشف مم تعاني!!. فهي ضحية الإيديولوجية مرة أخرى.. الإيديولوجية بمفهومها السلبي كونها وعياً زائفاً يصدر عن استيهامات وتصورات مشوشة وهلوسات.

ليس من مصلحة العرب أن يتمزق العراق، ولكي لا يتمزق العراق يجب تعزيز الروح الوطنية العراقية، وترسيخ أسس الثقافة العراقية في أرض صلبة، وتأصيل الهوية الوطنية العراقية، حتى لا نجاري من يقول إننا بحاجة إلى جرعة من الشوفينية العراقية. وأعتقد أن فعاليات المدى ذات الطابع الثقافي تنتظم حول فكرة مركزية هي (العراقية، وحرية العراق) ولا أحسب أن هذه الفكرة يمكن فصلها عن الفضاء العربي، ومن السذاجة أن نقول أنها تضر بذلك الفضاء اللهم إلا بقدر ما تصيب بضرر المزور والزائف والموهوم فيه.

إن ثقافة عراقية مزدهرة هي كسب للثقافة العربية.. إن عراقاً قوياً هو إضافة للقوة العربية.. إن فضاءً ثقافياً عربياً من دون المساهمة العراقية يبقى مخلخلاً. وما الذي جرى نقاشه في أسبوع المدى الثقافي غير المشكلات المطروحة اليوم بقوة على ساحة الفكر السياسي والثقافي العراقي والعربي. مثل العلاقة بين الثقافة والسلطة (بأشكالها كافة) والمسألة الديمقراطية وحقوق الإنسان وقضايا التعصب والتسامح، والعلاقة بين الدين والسياسة، والعلاقة بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي، وما يتعلق بإقامة مجتمع المعرفة والدخول في عصر المعلوماتية، وفتح ملفات الاقتصاد الساخنة، والخوض في شجون الإبداع الأدبي والفني ونقدهما. فما الذي يغيظ في هذا كله؟ لماذا هذا الميل المرضي، عند بعضهم، نحو الإخصاء؟ لماذا الهيام بالعنة والعجز والعقم والفزع من التخصيب؟ لماذا الخوف من الفعل والخصوبة الإبداعيين؟.

بغداد وأربيل، وما بينهما حلم مشترك بالحرية والرقي والسؤدد. والكلمة الفصل هي للإنسان العراقي المتجذر في هذا العالم بعمق ستة آلاف سنة حضارة وتمدناً، وعطاء ثقافياً وعلمياً، وتجارب آلام ومعاناة وتشبثاً بالحياة، وتطلعاً أبدياً إلى الانعتاق والنور.

مهرجان المدى والقضاء اللبناني

حازم مبيضين

بالرغم من انقضاء حوالي الثمانية أشهور على انعقاد مؤتمر المدى الثقافي في مدينة أربيل، عاصمة إقليم كوردستان العراق، فإن السجال لا يزال محتدما بين مؤيديه ومعارضيه من المثقفين العراقيين والعرب،وصولا إلى ساحات القضاء اللبناني بعد أن نشرت مجلة الاداب اللبنانية مقالا، هاجمت فيه رئيس تحرير المدى فخري كريم وصولا إلى الهجوم على شخص الرئيس العراقي الذي يشغل كريم موقع كبير مستشاريه، ما أجبر منظم المهرجان الذي شارك فيه اكثر من ٦٠٠ مثقف عراقي وعربي، على رفع دعوى قضائية يطلب فيها مبلغا ماليا زهيدا واعتذارا من المجلة على شكل نشرها لقرار القضاء اللبناني.

ونحن لسنا هنا بصدد تقييم ذلك المهرجان، مثلما أننا غير معنيين بمن قدم له الدعم من السياسيين العراقيين، وما إذا كان ناجحا، أو أنه مني بفشل ذريع، لكن الأخلاق تملي علينا أن ننظر إليه بإيجابية لأنه في الأقل استطاع جمع كل هذا العدد من المثقفين العراقيين من كافة أنحاء العالم، ليتحاوروا، وهذه ميزة يعز على الكثيرين القيام بها، وتعجز عنها بعض الدول، خاصة إذا لاحظنا الظروف الامنية الضاغطة التي يمر بها العراق، والتي تضغط في الكثير من الاحيان على إقليم كوردستان، وقد كان انعقاد المؤتمر في عاصمته فرصة ذهبية للتكفيريين والصداميين لارتكاب مذبحة تطول كل هؤلاء المثقفين الرافضين لفكرهم، لولا التنظيم الممتاز والحذر الذي كان في محله لدى السلطات الأمنية هناك.

ويلفت النظر أن رفع كريم لدعواه القضائية قد استثار عددا من العراقيين المناوئين للحكومة العراقية الحالية، فشنوا هجوما ضاريا على كريم من خلال بعض مواقع الانترنت، انتصارا ظاهريا للآداب، من خلال تعداد فتوحاتها الادبية التي لاينكرها عاقل، متجاهلين أنهم يتحدثون عن وقائع مرت عليها عشرات السنوات، وأن هذه المجلة لم تعد المنبر الاول والاخير للثقافة العربية، بعد وفاة مؤسسها المرحوم سهيل ادريس، واستغلالا لهذا المنبر للتنديد بزعيمي الحزبين الرئيسين في كوردستان العراق، باعتبارهما داعمين لمهرجان المدى، وقد خرج هؤلاء على المألوف حين الصقوا بكريم صفات أعتقد أنه قادر على مقاضاتهم هم أيضا عليها لو أراد ذلك.

المهم ان المنتصرين للآداب البيروتية يتكئون على مفهوم مفاده عدم أحقية رافع الدعوى باللجوء الى القضاء، وأن عليه الاكتفاء بالرد على الهجوم الذي شكك بتاريخه ومسلكه وذمته المالية من خلال مقال ينشر في المجلة التي شنت هجومها عليه، ويقرر هؤلاء أن اللجوء إلى القضاء نقيصة، وعيب، وكأن القضاء ليس معنيا باعادة الحقوق إلى اصحابها إذا اقتنع بدعواهم، وكأن على الرجل اللجوء إلى الأساليب التي يؤمن بها هؤلاء والتي كانت سائدة أيام حكم صدام حسين ومن أبرزها كواتم الصوت التي لم تترك مثقفا عراقيا معارضا من شرورها إلا من رحم ربي، أو من كان محميا في دولة تحترم أمنها وأمن المقيمين على أرضها.

سيقف فخري كريم أمام القضاء اللبناني يوم السابع من شباط المقبل مسلحا بما يراه حقه، وفي مواجهته ستقف مجلة الآداب مسلحة بما تراه حقها وواجبها في النقد، رغم أنها خرجت في موضوعها حول المدى من ثوبها الادبي لترتدي ثوبا سياسيا خالصا تشن من بين طياته هجومها على الطالباني والبرازاني والحكومة العراقية ولا توفر السعودية، أو غيرها من هجمتها التي يرفض المزايدون أن يقاضيها عليها من طالته سهامها، وسيكون القضاء اللبناني الحكم والفيصل في الموضوع.

في " اللعب بالنار "آخر روايات الكاتب الأمريكي فيل لامارش :

حرب شبابية على القيم الأمريكية

ترجمة :عدوية الهلالي

عن (لوفيغارو)

فيل لامارش ، كاتب امريكي أثارت رواياته اهتمام النقاد في بلده ويتابعه عشاق المطالعة باهتمام ...صدرت له آخر رواياته في خريف هذا العام وحملت عنوان" اللعب بالنار "، ومنذ صدورها ، حصدت هذه الرواية التعليمية حظا وفيرا من الثناء باعتبارها رواية ناجحة ونزيهة وتروي قصة مراهق يكتشف القيم الأمريكية العميقة ....

تدور أحداث الرواية في بلدة أمريكية كبيرة يعرف السكان فيها بعضهم البعض منذ اجيال ، لكنها تعرضت لاكتساح مؤسسي الأحزاب الذين دمروها بأفكارهم ...

في تلك البلدة ، يعيش تيودور الصغير أو " تيد " الصغير كما يطلق عليه المقربون ...كان تيد يذهب الى الصيد مع والده الذي يكره القادمين الجدد بثرائهم الفاحش وانفلات أخلاق اولادهم الذين يؤسسون جمعية يطلقون عليها " شباب امريكي " وهي جمعية همجية النزعة تدعو الى تدمير النفائس وتخريب الآثار الفنية ومحاربة القيم الأصيلة الداعية الى نبذ الكحول والمخدرات والجنس واستخدام الأسلحة ....

في أحد الأيام ، يقوم فتى مراهق من عائلة استقرت حديثا في الجوار بقتل شقيقه الشاب بوبي دون قصد منه ببندقية صيد خفيفة يملكها والد تيد ...حين يصارح تيد والدته بذلك تدفعه الى الكذب وانكار حيازة والده السلاح ، وبينما يختبئ الشقيق القاتل في الغابة ، يظن أعضاء جمعية الشبيبة الأمريكية ان تيد هو الفاعل فيجندونه معهم باعتباره رمزا حيا لحرية حمل السلاح واستخدامه!!!

تمثل رواية " اللعب بالنار " لفيل لامارش انقلابا جديدا على الحياة الأمريكية وقيمها العميقة التي تلقى تقديرا واحتراما في الغالب ....ويرى بعض النقاد ان الرواية تعليمية وتربوية لأنها تتمحور حول شخصية تيد المراهق مشوش الأفكار الذي يجد نفسه عضوا في جمعية لتدمير الشباب الأمريكي فينكشف أمامه زيف القيم الأمريكية وقد استخدم الروائي عملية حمل السلاح ذريعة لفضح تلك الجمعية وما تمثله من مجتمع امريكي متهرئ ، وسلط المجهر من خلالها على مشاعر بطله المراهق المشغول باكتشاف تعقيدات العلاقات الأنسانية واشمئزازه منها لأنه سيحاول بالتالي تحقيق احترامه لذاته بانتقاله من مرحلة المراهقة الى مرحلة البلوغ والرجولة دون خسائر جسيمة ...وعالج الروائي هذه الأنتقالة باسلوبه المحتشم القائم على التحليل دون مبالغة أو بهرجة ظاهرة لتصبح رواية " اللعب بالنار "..واحدة من اهم رواياته رغم بساطتها ....

فيل لامارش

قصيدتان للشاعر الامريكي جون بريهم

ترجمة : محمد النصار

اذا كانت بلا مشاعر

(يمكن ان ناخذها بعيدا . وبقدر ما انا مشغول. افضل ان اقضي الظهيرة مع كلب لطيف. انا لاامزح.فالكلاب تمتلك ما تفتقر اليه معظم القصائد: الاثارة وفكرة اللعب والبهجة والقدرة على منح الدفء)

هوارد موسس

الكلاب ستلعق وجهك. اذا سمحت لها طبعا.
اجسادها سترتعش بسعادة.
جولة سريعة في المتنزه
توفر لها راحة كبيرة
تعقبها طاسة من الطعام وطاسة من الماء
لتخلد بعدها للنوم.
وهي بحاجة دائما الى شخص يحك لها ظهرها
ويمسح جبهتها برقة والكلام بلطف معها.

والكلاب لديها كره طبيعي
لسعاة البريد
وحاملي الاخبار السيئة.
وستقوم بعضهم. دفاعا عنك
ولديها قابلية استشعار الخوف عن بعد
والحب الصافي الاصيل
وبقدر ماتكره التظاهر
فانها تحب ان تعاملها بلطف

فاذا كان الكلب حزينا او غاضبا
او ضجرا
او شاعرا بالخجل
او غارقا في التفكير
فان الجميع سيلاحظ ذلك.
ويمكنك ايضا ان تتحدث عن احلام الكلاب
في ارض النوم الزلقة.

وبقدر ما تكره ادعاء الاهمية الفارغة والغرور
الاجوف
فانها لاتجبرك على معرفة كم هي جادة او حساسة
فقط هي تشعر بكل شئ بكامل عنفوانها
وكل شيء لديها خارج الجدولة والخطط.

اكثر من مرة شاهدت كلبا ينتظر صاحبته
والقلق باد على وجهه:
(ياإلهي. ماذا لو لن تعود في الوقت المحدد. ماذا
افعل.. من سيعتني بي.
وانا مربوط الى هذا العمود
ومحاط باناس لايشبهونها ابدا
ولايداروننني مثلها).

وعندما تعود فيا لموجة الهياج
يا لعاصفة النباح والهديل
والقفزات المتلاحقة في الهواء.
انه امر بالكاد يمكن احتمال غبطته
هذا الامتلاء المفاجئ
بعد الشعور القاسي بالضياع التام
وهذا الاحساس المستعاد
بان العالم كله
اصبح الان عبارة عن ذراع حانية
وصوت لاشبيه له اطلاقا.

الحصص الاضافية

انا لااجاهر بحبي بصوت عال.
لان قلبي مجروح ومحطم دائما.
واحيانا
عندما اصلي
فان الحافات المتصدعة
تمس مسا خفيفا
والامر شبيه بسقوط طبق زجاجي
على الارض وتهشمه
بمعزل عن تحميله اشياء
اكثر من قدرته على الاحتمال.